"الخلفية"

(تعريب أقصوصة "Background" الإنجليزية بقلم: **ساكي (إتش.إتش. مونرو**[1] H. H. Munro)

جابر ك.

– أستاذ مساعد، قسم العربية، كلية مهاراجاس، إرناكلام، كيرلا

Email:**k.jabir1976@gmail.com**

– "وهي تميل إلى الرطانة حين تتكلــّم عن الفنّ "

قالها كلوويس لزميله الصحافي .

"تشتاق إلى الكلام حول بعض الصُوَر وتراها تنمو على صُوَر أخرى كأنــّها نوع من الفــُطريّ "

– "هذا يُذكــِّرني قصّة هنري دِبليس"

قال الصحافيّ ثمّ أضاف : هلْ قصصتُ عليك القصّة ؟

حرّك كلوويس رأسه بأنْ لا.

فبدأ الصحافيّ يسردها :

كان هنري دبليس يقطن مدينة لوكسمبرج الهولندية . وفي سبيل طلب المعيشة صار مسافرًا تجاريّا وحملتْه حرفتُه على أن يتجاوزَ حدودَ وطنِه من حينٍ إلى حينٍ ومرّة كان يتجوّل في مدينة صغيرة في إيطاليا إذ وافاه خبرُ تراثٍ سقطَ في ثروتِه وكان ذلك المال لنسيبٍ بعيدٍ وافته المنيّة. وكان التراثُ

[1] كان هكتور هيو مونرو(Hector Hugh Munro) (18 ديسمبر 1870 -- 13 نوفمبر 1916)، الملقّب بـ"ساكي" كاتبًا بريطانيًا، هجا بواسطة قصصه الظريفة والرهيبة المجتمع الإدواردي والثقافة الإدواردية. ويعتبر من رؤساء القصة القصيرة الإنجليزية ويعدّ غالبا في صفّ دوروثي باركر و أو.هنري. "النافذة المفتوحة" قصّته الشهيرة. وبالإضافة إلى قصصه القصيرة ألّف مسرحية طويلة مشاركًا مع تشارلز مود ثمّ تمثيليتين بمنظر واحد.

مبلغًا غيرَ باهظٍ في نظرِ هنري دبليس ولكنــّه أراد أن يُنفِقه في سبيلِ إسرافٍ لا يبدو مُضِرًّا فتفكــّر في أن يتملــّكَ به بعض مُنتجاتٍ فنّيةٍ ولا سيّما مُنتجاتِ فنــّانِ الوشم أندرياس بينسني . وكان بينسني هذا بارعًا في فنّه ما عرفتْ له إيطاليا مثيلاً ولكنّ الظروفَ أفقرتــْه ولذا تولــّى مع بالغ الفرح والسرور المهمّة التي طلبها هنري دبليس منه مقابلَ ستــّمِائةِ فرنك . وكانت المهمّةُ أن يُغطــّيَ ظَهْرَ الزبون من كاهلِه إلى خطــّ الخِصر بالصورة المتوهّجة لسقوط إيكاروس[1]. وعندما انتهت عمليّة الوشم بدا السيّد دبليس يائسًا إذ اعتراه شكٌّ في شأن إيكاروس فظنّه حصنًا غلبه فالنستين في حربٍ طالت ثلاثين سنة ولكنّه أظهر رضاه لمّا صرّح المشاهدون كلــّهم بأنّ الوشمَ أفضلُ ما أنتجته إبرةُ الفنّانِ بينسني .

نعم ، كان ذلك الوشمُ أفضلَ ما أنتجته إبرة بينسني وكان آخره أيضًا . ولم ينتظر ذلك الفنّان الموهوب حتّى أن يستلمَ أجرتَه فغاب وراءَ ستارِ القدر ودُفِنَ في ضريحٍ مزخرفٍ . يا ليت تلك الملائكة الموكــّلةُ عليه رحِمتْه حتى يمارس الفنَّ المحبوبَ إلى أمدٍ غير طويل ! وبقيتْ هناك أرملة بينسني مستحقة للمبلغ الموعود . فظهرت الأزمة الحرجة في حياة المسافر التجاري هنري دبليس إذ تضائل التراث ردًّا لبعض المطالبات ودفعًا لفواتير الندماء وتسويةً لِبعض حسابات أخرى فلم يبقَ في يده من الفلوس إلا ما لا يزيد على أربعمائة وثلاثين فرنك ليعطيها أرملة بنسيني. انفجرت المرأة ساخطة لمّا تلقــّت مسامعها اقتراحَ دبليس لخَصْم الأجرة ومحاولتــَه للاستهانة بقيمة العمل الذي هو أفضل ما قام به زوجها . ثمّ في مدّةِ أسبوع أجْبــِر دبليس أن ينقــُصَ المبلغ إذ تضاءل من جديدٍ فازداد سخطها وألغتْ الصفقة ورفضت أن تبيعَ الوشم . ولمْ تَمــُرَّ إلا أيّامٌ قلائلُ حتــّى عرف دبليس مع حيرةٍ ويأس أنــّها أهْدَتْ ذلك العملَ الفنــّيَّ إلى بلديةِ برغامو واستلمتــْهُ شاكرة.

[1] إيكاروس : ابن ديدالوس وقد أسرف في التحليق عند فراره من السجن ، حتّى أمسى على مقربة من الشمس فذاب جناحاه الشمعيّان وسقط في البحر (مث يونانية)

فترك دبليس المنطقة متنكّرًا ثمّ زال غمّه عندما نقلته شركته إلى الروم فرجا أن تكمنَ هويّتُه وهويّة تلك الصورة الذائعةُ الصيتِ.

راح دبليس يحمل على ظهره عِبءَ عبقريةِ الفنّان الراحل ومرّة دخلَ غرفة الاستحمام البخاري فعرض جسمه أمام صاحبها وكان من سكـّان شمال إيطاليا فأسرع إلى أن يسترَ جسم دبليس بثيابه وزعم أنّ العمل الفنّيَّ المشهورَ لا يباح عرضُه أمام الجمهور بدون إذن سابق من بلدية برغامو. انتشر الخبرُ وازداد اهتمام الناس به واشتدّت الحيطةُ الرسميَّةُ في أمره حتـّى عجز أن يغمس في بحرٍ أو نهرٍ أيّامَ الصيف الشديدة إلا إذا غطـّى ظهرَه من كاهله إلى خصره بثوبٍ غير شفّافٍ. ثمّ رأتْ بلدية برغامو أنّ الماءَ المملوحَ سيضرّ العملَ الفنـّيَّ وبالتالي حصلت من المحكمة على حكمٍ يمنعُ المسافرَ التجاريَّ من الاستحمام في البحر. وعلى كلّ حال سُرّ هنري دبليس أيّما سرور حينما نقلتـْهُ شركتـُهُ إلى قريةٍ من أعمال مدينةِ بوردو الفرنسية. ولكنْ ذاب سروره حينما أوقفَه الموظـّفون عند الحدود الفرنسيّة الإيطاليّة قائلين بأنّ القانونَ الإيطاليَّ لا يجيزُ إصدارَ الأعمال الفنـّية الإيطالية إلى بلاد أجنبية. ولم يلبث أنْ جرت هناك مفاوضات دبلوماسية بين حكومتي لوكسمبرج وإيطاليا وغامت سماء أوربّا بإمكانيات القضيّة غير أنّ حكومة إيطاليا أصرّت على موقفها السابق وصرّحت بأنّ صورة سقوطِ إيكاروس مِلكٌ لبلديةِ برغامو فلا تجيز لها أن تغادر الدولة.

ومرّت الأيّام وكاد انتباه الناس يعدل عن هنري دبليس. وفجأة اضطرمت حوله نيران الجدل من جديد وتركـّز عليه انتباه الناس مرّة أخرى وذلك عندما استأذن واحدٌ من المتخصّصين الألمان في الرسم من بلدية برغامو ليفحصَ العملَ الفنـّيَّ المشهورَ فأذِنَتـْه وبعد الفحص أعلن أنّه لا ينتمي إلى مجموعة منتجات بينسني ويمكن أن يكونَ من منتجات أحدِ تلاميذِ بينسني الذي وظـّفه الفنـّانُ المشهورُ في آخر أيّامه. وأمّا الأدلـّة التي قدّمها هنري دبليس في هذا الصدد فأهملها الناس إذ وجدوا الصورة أصابها التلف أثرًا

لاستخدام المُخدّرات وقد أحدثتْ فيها الثقوب. وفي هذه الأثناء فنـــَّدَ محرّرُ مجلـــّةٍ إيطاليّةٍ فنـــّيةٍ آراء المتخصِّص الألماني وشرع في إثباتِ أنّ حياته السرّيّة لا توافقُ مع آدابِ التصرّف الحديثة المقبولة عند الناس. ثمّ جرّ الجدال ذيله إلى سائر أقطار إيطاليا وألمانيا ولم يلبث أن خاضت فيه ما بقي من الدول الأوربيّة فثار البرلمان الإسباني بمَنـــَاظرَ عاصفةٍ وقدّمت جامعة كوبنهيغان المتخصّصَ الألمانيَّ شارة ذهبية في حين انتحر طالبان بولنديّان احتجاجًا على موقف الإدارة.

وكان يتحوّل صاحبُ الظهر المشؤوم يومًا فيومًا إلى ما هو أسوأ فلا عجب إذا وقعَ عليه ختمٌ بأنـــّه فوضويٌّ إيطاليٌّ وقد سبق أن رافقه الشرطة أربع مرّات إلى الحدود علمًا بأنـــّه أجنبيٌّ خطِرٌ غيرُ مرغوبٍ فيه ولكنّ العملَ الفنـــّيَّ الذي ينتمي إلى أملاك بلدية برغامو حجزهم من الترحيل.

وذات يوم كان دبليس في مؤتمر الفوضويّين يناقش أحد رفقائه فغضب الآخر غضبًا شديدًا وكسرَ قِنّينةَ سائلٍ متأكـــّلٍ وصبَّه على ظَهْر دبليس فالقميص الأحمر الذي لبسه خفـــّفَ الألمَ في حين تلِفتْ الصورة إلى ما وراء التمييز. وذلك المذنبُ سبَّه رفقاؤه بعنفٍ وحُكم عليه بحبس يطول إلى سبعة أعوام لإتلاف كنز فنّي وطني. ثمّ حالما غادر دبليس المستشفي رماه شرطة إيطاليا إلى ما وراء حدودها كأجنبيٍّ غير مرغوبٍ فيه.

قد تلتقى في الشوارع الهادئة في باريس وخاصّة في جوار وزارة الفنون الجميلة برجلٍ كئيبٍ قلِقٍ وإذا سألته شيئا يجيبك في صوتٍ تـــُساوره نبرة لوكسمبرجية. وفي هذه الأيّام يعالج أخدوعة بأنـــّه إحدى يديْ فينوس[1] المقطوعتين ويرجو الإدراةَ الفرنسية ستشتاق يومًا إلى شراءه وما عدا تلك الخاصّية فيما أظنّ هو شخصٌ مقبولٌ سليمُ العقل.

[1] إلهة الحبّ والجمال عند الرومان